الدعوة في الإسلام

تبليغ لا إلزام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لا أريد في هذا المقال أن أرد على من يزعم أن استعمال السيف في الإسلام كان للدعوة إليه، فهذا أمر قد كتب الباحثون فيه قبل، والكلام فيه يكون معاداً لا فائدة فيه، وليس شيء أثقل على نفسي من الكلام المعاد، لأنه يضيع زمن الكاتب والقارىء، والزمن أثمن من أن يضيع في الكلام المعاد، والحديث المكرر.

وإنما أريد في هذا المقال أن أنبه إلى أن الدعوة إلى الإسلام لا تكون أيضاً بمادون استعمال السيف مما فيه شائبة إلزام، ولو كان مثل هذا الإلحاح الثقيل الذي استعمله بعض المتنطعين في الدين مع الأستاذ نقولا الحداد، وشكي منه المرة بعد المرة في مجلة الرسالة الغراء.

فالدعوة في الإسلام قد حددت بأنها تبليغ عن الله لا غير، وهذا التحديد قد ورد في الآية — ٦٧ — من سورة المائدة (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) فلم يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية إلا بتبليغ دعوة ربه، والله تعالى هو الذي يهدي إليها بعد تبليغه من يريد هدايته، ويضل عنها من يريد إضلاله، فإذا بلغ فقد أدى رسالة الله تعالى، وليس عليه بعد هذا أن يلح أو يستجدي في الدعوة إلى الإسلام، لأن دعوته أكرم من أن يستعان فيها بالإلحاح أو الاستجداء، لأنهما يعرضان الكريم إلى المهانة والاستذلال، ويؤديان إلى عكس المقصود منهما وهو الاستجابة للدعوة.

وهذا إلى أنا قد أمرنا أن ندعو إلى الإسلام بالحكمة، كما قال تعالى في الآية — ١٢٥ — من سورة النحل (أدْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة وجادلهم بالتي هي أحسنُ إنّ ربك هو أعلمُ بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين) فإذا بلغ شخص الدعوة أو كان قد عرفها بنفسه كان الإلحاح في تبليغها إليه من باب تحصيل الحاصل، وهو عبث تأباه الحكمة التي أمرنا أن ندعو بها إلى الإسلام، وإنما تقضي الحكمة أن نترك من بلغناه لنشتغل بتبليغ من لم نبلغه، فقد يكون أقرب منه إلى إجابة الدعوة.

وإذا رجعنا في هذا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه يكتفي بتبليغ الدعوة لمن لم تبلغه، ويترفع في التبليغ عن كل ما يقف بالدعوة موقف المهانة، فلا يلح فيها على من يجد منه ترفعاً عنها، ولا يستجدي فيها من يجد منه استثقالا لها، ولا يضطغن عداوة على من بلغه فلم يستجب له، بل يبقى ما بينهما كما كان قبل أن يبلغه دعوته.

فها هو ذا يبدأ دعوته فلا يبدؤها بالإلحاح على قومه، ولا بعرضها على كل شخص منهم ولو لم يأنس منه الإجابة إلى الإسلام، بل لا يدعو إلا من يأنس منه الإجابة إلى دعوته من أهله وأصحابه، فكان أول من آمن به زوجه خديجة بنت خويلد، وقد دخل عليه ابن عمه علي بن أبي طالب بعد إسلام خديجة بيوم فوجدهما يصليان، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، ما هذا؟ فقال له: هذا دين الله الذي بعث به رسله، فأدعوك إلى الله، وأن تكفر باللات والعزّى. فقال له علي وكان غلاماً صغيراً: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم. فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب — يعني أباه — فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تردده لم يلح عليه، ولم يقف منه موقف الملحّ المستجدي، بل قال له: إن لم تسلم فاكتم. وكان لهذا الموقف الكريم أثره في نفس علي، فلم يلبث أن أسلم، ثم أسلم زيد بن حارثة، وكان النبي صلى الله

عليه وسلم يبيناه ، ثم أسلمت أم أيمن ، وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأربعة كانوا من أهله ، وكانوا أقرب الناس إليه ، وقد دعا معهم أبابكر بن أبي قحافة من بني تيم ، وهم بطن من قريش ، وكان أقرب أصدقائه إليه ، ولهذا بدأ بدعوته دون غيره من أصحابه ، فأسرع إلى التصديق به ، وقال له : بأبي أنت وأمي ، أهل الصدق أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . وهكذا بدأت الدعوة عرضاً كريماً لا إلحاح فيه ولا استجداء ، فكان إسلام من أسلم في ذلك الوقت إسلاماً كريماً قوياً ، لأنه كان استجابة خالصة للدعوة ، ولم يكن فيه أثر يشينه لإلحاح أو استجداء أو نحوهما .

وهذا عمه أبو طالب قام بكفالته وهو صغير ، فلما بعث في سن الأربعين قام بحمايته من قومه وهو على دينه ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم منه هذه الحماية ، واكتفى بأن بلغه دعوة الإسلام ، ولم يغير ما بينهما عدم استجابته له ، بل كان ينزله من نفسه منزلة العم الذي قام بكفالته وهو صغير ، ولا يثقل عليه من جهة ما يدعو إليه وهو كبير ، ولا يوقعه في حرج ينفره منه أو يبغضه فيه ، حتى توفي أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يكتفي منه بحمايته له ، ولا يثيره عليه بقاؤه على شركه ، بل كان يحبه حب ابن الأخ لعمه ، ويتمنى لو يسلم من شدة حبه له ، حتى نزل في هذا قوله تعالى في الآية — ٥٦ — من سورة القصص (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

وهذا صفوان بن أمية بن خلف كان من أشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ من أمره أن أرسل عمير بن وهب إلى المدينة ليغتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أهدر دمه في فتح مكة ، لأنه عد فيها من مجرمي الحرب ، كالذين يعدون مجرمي حرب في عصرنا الحديث ، فلما فتحت مكة هرب منها إلى جدة ليركب البحر منها إلى اليمن ، فأتى ابن عم له إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يؤمنه ، فقال له : هو آمن . وأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة علامة يعرف بها أمانه ، فذهب إليه فأدركه قبل أن يركب البحر ، وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما علم منه أنه قد أمنه طلب منه أن يمهله بالخيار شهرين ، فقال له : أنت بالخيار أربعة أشهر .

فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم إلى إجابته إلى ما طلب من الإمهال على الشرك ، بل كان طلبه أن يمهله شهرين فأمهله أكثر مما طلب ، وأعطاه مهلة أربعة أشهر ، ولم يستعمل معه إلزاماً أو إلحاحاً أو استجداء ؟ تكريماً لدعوته أن تقترن إذا ألح عليه أو استجداه ، وهي أكرم من أن تعرض للامتهان والاستذلال ، وإنما شأنها أن تكون هي المطلوبة بعد التبليغ لمن يدرك فضلها ، ويعرف شرف ما تدعو إليه ؛ ويعلم قبل ما تأمر به .

وهكذا صين الإسلام في عهده في الأول عن العرض المهين ، وحفظ الداعون إليه كرامته ، وصانوا به عمن لا يعرف له قدراً ، ولا يدرك له فضلاً ، عزاً وكرماً على الناس ، كما يعز ويكرم كل ممتاز مكرم ، وأقبلوا عليه راغبين من أنفسهم ، كما يقبلون على كل عزيز عند أهله ، بعيد عن كل ما يدعو إلى امتهانه أو استذلاله .

وقد بلغ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في التلطف في الدعوة أن يقول لمخالفيه فيما أمره الله به في الآية — ٢٤ — من سورة سبأ (قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) فيلقي إليهم دعوته في هذه الصورة من الشك ، ليتأملوا فيها وهم في تؤدة ورفق ، فإن آمنوا بها آمنوا بعد إدراكهم لصحتها ، ورغبتهم في الإيمان بها ، فلا قسر ولا إلجاء ، ولا إلحاح ولا استجداء ، فمن آمن فلنفسه لا لغيره ، ومن ضل فعليها لا على غيرها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

عبد المتعال الصعيدي

وزارة الحربية والبحرية

السلاح البحري الملكي

إعلان

يقبل السلاح البحري الملكي براس التين بالاسكندرية عطاءات لغاية ظهر يوم ١٩ / ١ / ١٩٤٩ عن توريد كاوتشوك خارجي وداخلي للسيارات والموتوسكلات والشروط والمواصفات يمكن طلبها يوميا من رئاسة السلاح المذكور نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليم .

٩٤٥